الإسلام والصراعات الدينية

حافظ عثمان

مقدمة

شغلت الصراعات الدينية ، أو الصراعات التي اتخذت الشكل الديني ستارا لأهدافها ، شغلت آلاف السنين من عمر البشرية ، مما أخر مسيرتها الحضارية وسبب الكثير من الآلام في الأنفس والكثير من تدمير مصادر اشباع حاجات الإنسان .

وبالنظر إلى أن هذه الصراعات لا زالت تمثل العقبة الرئيسية التي تحول دون تقدم ورفاهية غالبية الشعوب الفقيرة بصفة عامة والشعوب الإسلامية بصفة خاصة ، فقد تم وضع هذا الكتاب على أمل أن تجد هذه الشعوب في وقائعه وأحداثه ما يجعلها تتخلص من صراعاتها الدينية ولتكثيف جهدها وطاقتها على طريق تعمير الأرض واستثمار ثرواتها بالعلم وبالمال وبالجهد ، لتشبع حاجات ابنائها ولتحقق الأمن والسلام بينهم ثم لتشارك ، على قدم المساواة ، في بناء صرح الحضارة العالمية وبدون أي صراعات دينية .

ولأجل الوصول إلى هذا الهدف ، تم عرض بعض النماذج عن الصراعات الدينية التي نشبت بين اتباع العقائد الفطرية الأولى ، وبين اتباع الديانات السماوية الثلاث ـ اليهودية والمسيحية والإسلام ، ثم بين اتباع الديانات السماوية بعضها وبعض ، ثم بين اتباع كل ديانة على حدة .

وهذا ما تناولته الابواب الثلاثة الأولى من الكتاب .

وسوف يتبين للقارىء ان الصراعات الدينية بين اتباع الديانة الواحدة كانت أشد وأشرس من الصراعات بين اتباع الديانات والعقائد الدينية المختلفة .

وفى كل صور الصراعات الدينية ، وأيا كان أطرافها كان الدين مؤيداً دائماً بقوة الحكم والسلطة ، كما كان الحاكم ، خاصة فى أوروبا المسيحية يؤمن تماماً أن قوة حكمه تنبع من اعتناق شعبه لعقيدة أو لمذهب دينى معين ، ومن هنا كان فرض الدين أو المذهب بقوة الحكم والسلطة هو الأمر الذى حقق المزيد من الفرقة تبعاً لتعدد المذاهب الدينية وعلى عكس أهداف الحكم والسلطة .

— ولقد تنبهت أوروبا المسيحية إلى مستنقع الصراعات الدينية الذى حال بينها وبين تكثيف الفكر والجهد والمال من أجل إشباع حاجات الإنسان ، فخرجت من هذا المستنقع تاركة أمور الدين للحريات الشخصية للإنسان ودون تكرار المحاولات الفاشلة بفرض مذاهب دينية معينة بقوة السلطة .

— وبالحريات الدينية والسياسية والاقتصادية والعلمية وغيرها ، تمكنت أوروبا من تحقيق وحدة شعوبها على طريق التعمير وكفاية حاجات الناس .

ويتناول الباب الرابع ثمرة الصراعات الإسلامية المسيحية فى العصر الحديث والتى بدأت فى القرن السابع الميلادى بإنتصار المسلمين على الامبراطورية البيزنطية المسيحية .

ثم يتعرض الكتاب لرد الفعل لدى العالم الإسلامى فى مواجهة إنكساره المهين أمام الحضارة الغربية المسيحية سواء بالنسبة للجامعة الإسلامية أو محاولات نشر العلم والثقافة بين شعوبه أو عن طريق الصراعات الدموية ضد الأجهزة الحاكمة بهدف حلول نظم الحكم الإسلامى محلها .

— وتستمر الصراعات (الشرسة) داخل العالم الإسلامى بين المسلمين أنفسهم ، سواء لإختلاف المذهب ، أو بسبب الخلاف مع الاجهزة الحاكمة — ثم بين المسلمين وغيرهم من إتباع الديانات الأخرى بينما يسعد الغرب المسيحى الظافر بهذه الصراعات ، ويعمل على مضاعفة عواملها ، ليحافظ على إنتصاره

وعلى سيطرته على مقدرات العالم الإسلامى ، هذا بينما المسلمون يغرقون حتى إذ انهم فى مستنقع هذه الصراعات، لاهين عن عوامل نهضتهم ورفاهية شعوبهم المتمثلة فى وحدتهم على طريق التعمير وكفاية حاجات الناس وامتثالا لامر الحق تبارك وتعالى . . .

والامل ، كل الامل ، ان يكون فى هذا الجهد شيء ينفع الناس . . . . .

والله ولى التوفيق

القاهرة ـ المطرية ١٩٩٢

حافظ عثمان

البـــاب الأول

صـراع أتبـاع العقـــائد الأولى

مـــع أتبـاع الأديـــان السماوية

الفصـــــل الأول

صراعات اتباع العقائد الأولى مع اليهود

كان أول ظهور للعبرانيين في ميدان التاريخ خطابات (تل العمارنة) في مصر ، والتي يرجع تاريخ أقدمها إلى ما بعد سنة ١٤٠٠ ق . م بقليل أي في عهد يسبق أي أدب عبراني وصل الينا .

ولم يحدثنا التاريخ عن موسى (عليه السلام) . مؤسس اليهودية ، وعن (سيدنا) إبراهيم(عليه السلام)الجد الأكبر للسامية ، وذلك أن التاريخ لا يهتم عادة الا بسرد اخبار الملوك والقادة .

وعلى اية حال فان (سيدنا) موسى ، ربيب القصر الملكي في مصر ، هو القائد الأول لبني اسرائيل في مواجهة القوى التي لا تدين بديانتهم .

وكان أول احتكاك بين بني اسرائيل (والعقائد المصرية الأولى) هو الذي جاء في الكتب الدينية المقدسة .

ويلاحظ في موقف كل من ملك مصر وموسى(عليه السلام)أنه كان صراعاً بين الإله المعبود وسليل الآلهه (ملك مصر) ومع من ينكر هذه الألوهيه على وجه الإطلاق ولا يعترف الا باله أحد غير بشري وغير مرئي .

وقد جن ملك مصر (الإله) من منكر الوهيته ، خاصة أن فى هـذا الانكار ضياع هيبته وسلطاته والنظام القائم فى مصر من اساسه والذى يرجع إلى اكثر من ثلاثة آلاف عام قبل ظهور موسى .

وواضـح ، من السرد الـدينى ، أن موسى وشيعتـه لم يسلكـوا مسلك رواد المسيحية والإسلام فى تحمل العقوبات من قيادتهم الوثنية ، سواء بالقتل أو بالسجن . أو بالاسترقاق فى بلادهم .

إن موسى (عليه السلام) وشيعته اتجهوا إلى الهروب بعقيدتهم إلى خارج مصر مما يـدل عـلى انهم لم يكونو من ابنـائهـا ، ولكن ملك مصـر (الإلـه) لم يـرض بذلك . . . . . وكادت تقع الحرب بين الفريقين الا أن موسى تمكن من الهرب بشيعته إلى صحراء سيناء . . . . وفى خلال هذا الهروب ارتد بعض الاسرائيليين عن ديانتهم ، وتشكك آخرون فيها وقضوا أربعين عاما تائهين فى شبه جزيرة سيناء ثم هاجموا الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين .

وكان الكنعانيون يسكنون فلسطين ، وكانوا قد اجتازوا مرحلة من التمدن تبلغ اكـثر من ألف سنة حينـما غزا العبـرانيون البـلاد بعد هـروبهم من مصـر بقيـادة موسى[1] . . . . .

ولما تغلب العبرانيون على الكنعانيين سكـان فلسطين الأصليـين ، بدؤا فى انشاء أول دولة لهم وعلى حطام الحضارة الكنعانية التى كانت سائدة فى فلسطين .

وقتلوا من الكنعانيين كثيرا . . . .

يقول ول ديورانت (إن هزيمة البدو الرحل (العبرانيين) للكنعانيـين ليست الا مثلا آخر لانقضاض جموع جياع على جماعة مستقرة آمنة . وقتل الاسرائيليون من الكنعانيين اكثر من استطاعوا قتلهم منهم وسبوا من بقى من نسائهم ، وجرت دماء القتلى انهارا ، وكان هذا القتل كما تقول نصوص الكتاب المقدس (فريضة الشريعة التى امر بها الرب موسى) و (زكاة الرب) . ولما استولوا على مدينتين من المدن قتلوا من اهلها ١٢,٠٠٠ رجل ولسنا نعرف فى تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف فى القتل

والاستمتاع به ، ومثل هذه السهولة فى تعداد القتلى الا فى تاريخ الاشوريين ، ويقال لنا (إن الأرض استراحت من الحروب احيانا) فقد كان موسى من رجال السياسة المتصفين بالصبر والاناة ، اما يشوع فلم يكن الا جنديا فظا ، وقد حكم موسى حكما سلميا لم تسفك فيه دماء ، وذلك بما كان يقضى به من احاديث جرت بينه وبين الإله ، اما يشوع فقد اقام حكمه على قانون الطبيعة الثانى ، وهو أن اكثر الناس قتلا هو الذى يبقى حيا . وبهذه الطريقة الواقعية التى لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة) .

ويقول برستد : ــ

(ومن الحقائق المدهشة أن يكون ذلك الارث الخلقى العظيم (دين التوراه) قد وصل إلى المدنية الغربية من شعب خامل الذكر سياسيا منزو فى الركن الجنوبى الشرقى من حوض البحر المتوسط ، فان هذا الشعب لم يقم له نظام قومى خاص به الا منذ العشرين سنة السابقة لعام ١٠٠٠ ق . م . وعلى أثر انحلال هذه الدولة الصغيرة إلى الجزءين اللذين قاما على تراثها ظلا يكافحان البقاء ، فاستمرت احداهما مدة قرنين تقريبا ، واما الجزء الآخر فانه بعد أن مكث قرناً وربع قرن من سقوط الجزء الأول قضاها فى حياة قلقة شبه مستقلة ، تداولته فيها ايدى ممالك الشرق العظيمة قديما ، قد حاق به كذلك الفناء التام بعد سنة ٦٠٠ ق . م بزمن قليل . . . . وبذلك تكون حياة العبرانيين القدامى القوية المستقلة ، أو حياة جزء منهم ــ التى بدأت لأقل من ثلاثين سنة قبل عام ١٠٠٠ ق . م . قد مكثت حوالى اربعة قرون وربع قرن وختمت فى باكورة القرن السادس ق . م . أى أن هذا العهد من الحياة العبرانية القوية قد وقع باكمله تقريبا فى النصف الأول من الألف سنة الأخيرة قبل الميلاد المسيحى ، وفى تلك الفترة كان تقدم الثقافة فى مصر وفى بابل قد نضب معينه وصار يعد خبرا من اخبار التاريخ) .

ولقد تعرض اليهود ، بعد اقتناصهم فلسطين من الكنعانيين ، لحروب خارجيه ، خاصة من بابل . . . وأُسر الآلاف . . . وسُبى الآلاف . . . وتشتت الكثيرون منهم فى بلاد العالم وهم على إصرارهم على ديانة التوحيد ومن ثم كان لابد من تكرار الصراعات بينهم وبين من لا يعترفون بالإله الأحد .

مـرحلة خضوع فلسـطين واليهود لمصـر والشـام فى العصـر الإغريقى .

أرجو أن لا يغيب عن ذهن القارىء أنه وراء غاية الصراعات الدينية ، اسباب سياسية واسباب اقتصادية واسباب شعوبية (قومية) واسباب اجتماعية

وكان من أهم الدوافع التى حركت الصراعات الدينية عند القيادات السياسية (الاغريقية) هو رغبتها الملحة فى توحيد شعوبها فى عقيدة دينية واحدة ، لتسهيل عملية الحكم عن طريق وحدة النظام الدينى والدنيـوى المطلوب خضـوع الجميع لاحكامه

وظلت بلاد اليهود تابعة لمصر حتى عام ١٩٨ ق . م . حين هزم أنيـوخوس الثالث بطليموس الخامس وضمها إلى الإمبراطورية السلوقية ، ولم ير خلفه فى بلاد اليهود الا أنها مصدر للايراد ، . . . فامر اليهود أن يؤدوا إلى خزانة الدولـة ثلث محصولاتهم من الحبوب ، . . . ثم حاول هذا الملك أن يفرض اله اليونان (زيوس) على اله اليهود هادفا أن يكون اتباعه على شريعة دينية واحدة . . . ولما ثار اليهود على هذه الاوضاع ذبح الافا من اليهود رجالهم ونسائهم ، ودنس الهيكل ونهبه ، وصادر مذبحه الذهبى وآنيته وكنوزه . . . وأمر أن يعود الهيكل كـما كان ضـريحا مقـدسا لزيوس ، وأن يقام مذبح يونانى فوق المذبح القديم ، وأن يستبدل بالقرابين القديمة قربان من الخنازير . ثم حرم تقديس السبت والاحتفال بالأعياد اليهودية ، وجعل الختان جريمة يعاقب عليها بالاعدام ، وحرمت جميع مراسم الدين اليهودى فى جميع انحاء اليهود ــ والزم الاهالى باتباع المراسم اليونانية ، وعـوقب من يخالف ذلـك بالاعدام . وكان كل من يأبى من اليهود أن يأكل لحم الخنزير وكل من يوجد عنده كتاب الشريعة يسجن أو يقتل ، وامر أن يحرق هذا الكتاب إن وجد . وأشعلت النار فى اورشليم نفسها ، وهدمت اسوارها وبيع سكانها اليهود فى اسواق الرقيق ، وجىء بالأجانب ليقيموا فى مواضعها .

وعثرت شرذمة من جنود الملك على كهوف اوى إليها بعض اليهود الثابتين على دينهم فامروهم بالخروج ، فلما عصوا أمر الجنود وابوا كذلك أن يزيلوا ما عساه أن

يكون فى مداخل الكهوف من حجارة لأن اليوم كان يوم السبت ، اعمل فيهم الجنود النار والسيف ، وقتلوا كثيرين من اللاجئين ، واختنق الباقون بالدخان . وفى المدن قبض على النساء اللاتى ختن من ولدن حديثا من الأطفال وألقين من فوق الأسوار .

وكانت قصص الاستشهاد تتناقلها الألسن وتملأ بها الكتب .

وكان هناك رجل ثبت على مبدئة اسمه متاثياس هو واولاده الخمسة ــ ولما أمر عامل الملك أهل مدين بأن يجحدوا الشريعة ويقربوا لزيوس . جاء متاثياس الشيخ وابناؤه الخمسة وقال :

(لو أن جميع سكان المملكة اطاعوا امركم بالمروق من دين ابائهم لبقيت أنا وأولادى الخمسة متمسكين بدين آبائنا الأولين) . ولما أن اقترب أحد اليهود من المذبح ليقدم القربان الوثنى المطلوب ذبحه متاثياس بيده وذبح ايضا مندوب الملك ، ثم نادى الشعب قائلا : من كان يغلو على الشعرية واراد أن يؤيد العهد فليتبعنى ، فسار وراءه هو وابنائه كثيرون من القرويين حتى وصلوا إلى جبل افرايم ، حيث انضمت اليهم جماعة صغيرة من الشبان الثائرين ومن كان باقيا على قيد الحياة من المتقين

وحدثت حروب بين هؤلاء (المتقين) وبين الملك . . . انتهت بانتصار وبمولد دولة يهودية جديدة .

وكان ملوك مصر من البطالمة الأوائل قد سمحوا لليهود المقيمين بمصر بمزاولة انشطتهم التجارية والمالية .

غير أنه لم تلبث أن ظهرت الفوارق بينهم وبين بقية الشعب المصرى ، ونشأت من هذه الفوارق الدينية والعنصرية مضافا إليها المنافسات الاقتصادية حركة مناهضة للساميّة فى أواخر هذا العصر . **ذلك أن المصريين واليونانيين قد اعتادوا جميعا وحدة الدين والدولة** ، ولم يكن يرضيهم استقلال اليهود الثقافى عن سائر اهل البلاد . يضاف إلى هذا أن منافسة الصانع ورجل الأعمال اليهودى كانت ثقيلة الوطأة عليهم ، ولما أن اخذت رومة تستورد الحبوب من مصر كان تجار الإسكندرية اليهود

هم الذين ينقلون هذه البضاعة فى اساطيلهم . وادرك اليونان عجزهم عن صبغ اليهود بالصبغة الاغريقية فأوجسوا منهم خيفة على مستقبلهم ، وأخذوا يشكون من أن الشريعة اليهودية تحرم التزواج بينهم وبين أهل الأديان الأخرى ، وأن معظم اليهود لا يختلطون بغيرهم ، كثرت الكتب والرسائل المناهضة للسامية . . واشتدت الأحقاد بين الجانبين حتى أدت فى القرن الأول الميلادى إلى أعمال العنف المخربة(٥)

مرحلة خضوع فلسطين واليهود للامبراطورية الرومانية .

أصبح اليهود من عهد قيصر عنصرا قويا من عناصر السكان فى العاصمة وقد وفد منهم إلى روما عدد قليل من عهد ماضٍ يرجع إلى عام ١٤٠ ق . م . وجىء بعدد كبير منهم إلى رومة اسرى بعد الحروب التى شبت فى عام ٦٣ ق . م ولم يلبث هؤلاء أن تحرروا من الرق بجدهم ، واقتصادهم ، ولم يحل عام ٥١ ق . م . حتى كان عددهم فى الجمعية التشريعية قد ازداد إلى حد جعل شيشرون يصف معارضتهم بأنها مجازفة سياسية غير مأمونة العاقبة . ويمكن القول بوجه عام إن الحزب الجمهورى كان معاديا لليهود وان الشعب والأباطرة كانوا من أصدقائهم .

وقد ظلوا على الدوام يؤيدون قيصر ، وبسط عليهم فى نظير ذلك حمايته ورعايته ، وحذا اغسطس حذوه فى هذه الخطة . اما تيبيروس فكان معاديا لكل العقائد الأجنبية ، ولذلك جند اربعة آلاف منهم ليحاربوا فى سردينيا حربا لا تكاد تختلف فى شىء عن الانتحار ، ثم اخرج البقية منهم من رومة (١٩ م) . ثم ادرك بعد اثنى عشر عاما من ذلك الوقت أن سجانوس قد اضله فى هذا الأمر ، فالغى مرسوم نفيهم ، وامر الا يضار اليهود فى ممارسة طقوس دينهم وفى اتباع عاداتهم . وبسط عليهم كاليجولا حمايته فى رومة ، ولكنه قاومهم خارجها ، ونفى كلوديوس بعضهم على اثر ما احدثوا فى المدينة من شغب ، ولكنه اصدر فى عام ٤٢ م مرسوما عاما يؤيد فيه حقهم ايا كان مقامهم فى انحاء الامبراطورية فى أن يعيشوا حسب قوانينهم . وفى عام ٤٤ نفى دومنيان اليهود من رومة إلى وادى اجبريا وفى عام ٤٦ اعادهم وسمح لهم أن يستمتعوا بالطمأنينة جيلا كاملا .

وكانت نزعة اليهود الانفصالية ، واحتقارهم للشرك وعبادة الأوثان ، وتزمتهم الخلقى ، وامتناعهم عن الذهاب إلى دور التمثيل أو مشاهدة الألعاب وعاداتهم وطقوسهم الدينية الغريبة ، وفقرهم وما نتج عنه من قذارة ، كان كل هذا سببا فى كراهية العناصر الأخرى لهم ، وهى الكراهية المألوفة فى تاريخهم الطويل ، وقد ندد جوفال بكثرة تناسلهم ، كما ندد ناستس بوحدانيتهم الدينية ، وندد غيرهم بشغفهم بالثوم . وزادت البغضاء بينهم وبين غيرهم من الطوائف بعد استيلاء الرومان على بيت المقدس وسط معارك دموية . ومثلت فى موكب النصر الذى استقبل به ناستس جماعة كبيرة من الأسرى اليهود والغنائم المقدسة ، كما مثلت رموز عن هذا النوع على ما أقيم له من اقواس النصر ، واضاف فسبا زيان إلى اذاهم السخرية منهم وأمر بأن يخصص من ذلك الوقت نصف الشاقل ، الذى كان يرسله اليهود المشتتون لصيانة الهيكل ، لتعميرروما ، .

ونعمت فلسطين المضطربة بفترة صغيرة من السلام فى عهد تمبريوس (الإمبراطور الرومانى) ولما جلس كاليجولا على العرش أراد أن يجعل عبادة الأمبراطور دينا يوحد به أجزاء الإمبراطوريه المختلفة فامر أن تشتمل كل العبادات قربانا يقرب لصورته واصدر تعليماته إلى الموظفين فى اورشليم أن يضعوا تمثاله فى الهيكل .

وكان اليهود فى عهد اغسطس وتيبيروس قد خطوا نصف الطريق إلى ترضية الأباطرة بأن كانوا يضحون ليهوه باسم الإمبراطور ، ولكنهم كانوا ينفرون اشد النفور من وضع تمثال منحوت لرجل وثنى فى هيكلهم ، وبلغ هذا النفور درجة دفعت آلافاً منهم ــ على حد قول الرواية المأثورة ــ إلى أن يذهبوا إلى حاكم سورية ويطلبوا اليه أن يذبحهم وان لم يكونوا قد ارتكبوا ذنبا قبل أن ينفذ هذا المرسوم .

وتألفت عصابات من المتحمسين و (الفدائيين) لمحاربة اليهود ، واقسم اعضاؤ ها أن يغتالوا كل يهودى خائن ، فكانوا يندسون وسط الجماعات فى الشوارع ويطعنون ضحاياهم من خلفهم ، ثم يختفون بين الجماهير فى الفوضى التى تعقب عملهم هذا .

وانقسمت المدينة وانقسمت كل اسرة تقريبا بين هذين الحزبين فاستولى احدهما على الجزء الأكبر من اورشليم ، واستولى الآخر على جزئها الأدنى كلاهما يهاجم الآخر بكل ما يصل اليه من سلاح ، ووصل الأمر عام ٦٨ إلى نشوب معركة دامية بين الحزبين انتصر فيها المتطرفون وقتلوا ١٢,٠٠٠ يهودى بينهم الأغنياء كلهم تقريبا .

وفى عهد كاليجولا (٣٧ ــ ٤١) آتت سياسة فرق تسد أكلها . . . . وذلك أن الاغريق سخروا من الأمير اليهودى اجريبا عند مروره بالإسكندرية (أوائل اغسطس ٣٨) وهو فى طريقه إلى ارتقاء عرش مملكة صغيرة على حدود بلاد اليهود فى فلسطين ، ولما كان الإسكندريون قد عرفوا اجريبا منذ بضع سنين رجلا مفلسا متلافا يتهرب من سداد ديونه ، فانه هالهم أن يصبح هذا اليهودى المتلاف ملكا بين عشية وضحاها وأن يروا اليهود يستقبلونه استقبال الملوك العتاة ، ولذلك استقر رأيهم على انتهاز هذه الفرصة للنيل من أجريبا ومن اليهود فى شخصه فنظموا موكبا هزليا قدامه رجل معتوه عصبوا رأسه باكاليل من لحاء البردى ، ووضعوا فى يده صولجانا من ساق البردى وطافوا به فى شوارع المدينة وهم يرددون كلمة سريانية معناها الملك ولكن ما أن افاق الإسكندريون من نشوتهم حتى خشوا عاقبة سخريتهم من اجريبا فقد كان صديق الامبراطور وصاحب حظوة لديه ، فرأوا انه لن ينقذهم من ورطتهم الا أن يوقعوا بين اليهود والامبراطور . ولما كان الامبراطور قد امر باقامة تماثيله فى جميع المعابد وكان اليهود لم ينفذوا امر الإمبراطور لأن اقامة تماثيل البشر فى معابدهم كان يدنسها ، فان الإسكندريين ادعوا بانهم لم يتظاهروا ضد اجريبا الا لعدم امتثال اليهود لأمر الإمبراطور . واتخذوا من ذلك ذريعة ليدخلوا المعابد اليهودية ويقيموا فيها تماثيل الإمبراطور وعندما قاومهم اليهود اتهموا بعدم الولاء للامبراطور وبذلك افلحوا فى حمل الحاكم الرومانى فلاكوس على حرمان اليهود امتيازاتهم . وانتهز الإسكندريون فرصة وقوف الحاكم الرومانى إلى جانبهم للتنكيل باليهود ونهب حوانيتهم وتخريب دورهم وبيعهم . وبطبيعة الحال لم يقف اليهود بلا حراك وانما هبوا للدفاع عن انفسهم وذويهم وبيعهم وممتلكاتهم ، فاشتبك الفريقان فى صراع عنيف دون أن يتدخل الحاكم الرومانى فلاكوس لوضع الأمور فى نصابها . . . . بل إنه القى القبض على ثمانية وثلاثين من اعضاء مجلس اليهود وامر بجلدهم فى الحادى والثلاثين من اغسطس بالرغم من انهم كانوا معفين من هذه العقوبة .

ونشأت فى هذه الفترة اعمال تصور هذا النزاع يسميها الباحثون (اعمال الإسكندريين) أو (اعمال الشهداء الوثنيين) بسبب ما بينها وبين (اعمال الشهداء المسيحيين) من تشابه مرده فى الحالين إلى صياغة الوثائق فى قالب مضابط لمحاكمات يلقى فيها المتهمون خطباً طويلة ويندون بمثالب الحكم الرومانى ويتبادلون مع الامبراطور عبارات قارصة عنيفة . و (اعمال الإسكندريين) تعبر عن كراهية الاغريق الشديدة لليهود وللرومان .

وفى عام ٦١ اشتبك الإغريق مع اليهود فى الإسكندرية وراح ضحيته خمسون الف منهم ، حسب قول مؤرخهم يوسف

وتجدد النزاع بين اليهود والإغريق عام ١١٣ ــ ولكن الأمبراطور الرومانى نصر اليهود ووبخ الإغريق على مسلكهم ــ ولكن اليهود كانوا يشعرون بقلق شديد لأن الرومان كالوا لهم ضربات شديدة منذ ثورتهم فى فلسطين فى عام ٦٦ ، فقد دمروا معبدهم الأكبر فى اورشليم وارغموهم على دفع ضريبة الدينارين لمعبد جوبيتر كابيتولينوس فى روما بدلا من معبد اورشليم واغلقوا معبد ليونتوبوليس فى مصر وصادراوا جميع ممتلكاته ، واخذوا يعتبرونهم جماعة مشاغبة يجب اخذها بالحزم . ازاء كل ذلك اضمر اليهود حقدا دفينا للرومان واخذوا يتطلعون إلى الفرصة التى تتيح لهم الخلاص من ربقتهم . وقد ظن اليهود أن فرصتهم قد سنحت عندما تحرج مركز الامبراطور فى اثناء الحملة التى قام بها فى الشرق ، ففى عام ١١٥ اندلعت نيران ثورة اليهود فى قبرص وفى مصر وفى قوريناتيه (برقة) وفى عام ١١٦ انقلبت الثورة إلى حرب ضروس وراح ضحيتها اعداد كبيرة من الإغريق والرومان .

وقد اعمل اليهود القتل بين الإغريق المقيمين فى ريف مصر مما حدا بهم إلى الالتجاء إلى الإسكندرية حيث شاركوا الإسكندريين فى القضاء على كل ما وصلت إليه ايديهم من اليهود . وفى شتاء ١١٦ زحف يهود برقة على مصر لكنهم بدلا من أن يحاولوا اقتحام الإسكندرية اتجهوا نحو الأقاليم وانضموا إلى اليهود المقيمين هناك وسيطروا على بعض الجهات وسلبوا ونهبوا وحرقوا وخربوا كما سولت لهم انفسهم

الفصـــل الثـــانى

صراعات أتباع العقائد الأولى مع المسيحيين

نشأت المسيحية بين يهود فلسطين ، وكان أول صراعاتها مع الديانة اليهودية نفسها ، وذلك أن اليهود اعتبروا المسيحيين الأوائل جماعة منشقة عنهم ومن ثم قاوموهم وصارعوهم واضطروا الحاكم الرومانى بيلاطس إلى التدخل فى هذا الصراع بعد أن اقنعوه أن المسيح يدعو إلى قلب نظام الحكم بتعاليمه ويعمل على أن يكون ملكا لبنى اسرائيل .

وكانت شعوب البحر الأبيض المتوسط ، ومنها فلسطين ، تخضع لروما التى كانت تدين ، هى وشعوبها بعقائد تعدد الآلهة وتأليه الإمبراطور الرومانى .

وهذا لا يتفق مع الديانة المسيحية الناشئة الداعية إلى إله واحد لا يجوز تأليه أو عبادة سواه والا كان الإنسان كافرا .

وكانت الحكومة الرومانية فيما قبل ايام المسيحية تظهر فى اغلب الأحيان للاديان المعارضة للدين الوثنى المقرر تسامحا تظهر هذه الأديان مثله للشعائر الرسمية وللامبراطورية ، فلم تكن تطلب من اتباع العقائد الجديدة الا حركة يأتونها من حين إلى حين يمجدون بها الآلهة ورئيس الدولة ، ولهذا آلم الأباطرة أن يجدوا أن المسيحيين

واليهود ، دون سائر اتباع الأديان الخارجة على دين الدولة ، هم الذين يأبون أن يعظموا عبقرياتهم ، ذلك أن احراق البخور امام تمثال الامبراطور كان قد اصبح دليل الولاء للامبراطورية وتوكيدا لهذا الولاء .

لكن الكنيسة كانت ترفض من ناحيتها الفكرة الرومانية القائلة بأن الدين خاضع للدولة ، وترى فى عبادة الإمبراطور نوعا من الشرك وعبادة الأصنام ، ولذلك امرت اتباعها أن يرفضوا هذه الشعائر مهما ينلهم من الأذى بسبب هذا الرفض واستدلت الحكومة الرومانية من هذا على أن المسيحية حركة متطرفة ، بل لعلها حركة شيوعية ـ تعمل فى السر على قلب النظام القائم .

وقد استطاعت القوتان قبل عهد نيرون أن تعيشا معا من غير أن يشتجر بينهما النزاع . وكان القانون يعفى اليهود من أن يعبدوا الإمبراطور . ونال المسيحيون فى أول امرهم هذه الميزة لانهم لم يكن يستطاع التفريق بينهم وبين اليهود . ولكن مقتل بطرس وبولس ، وحرق المسيحيين بيد الرومان ليزيد الإمبراطور نيرون العابه بها ، بدل هذا التسامح المتبادل المشوب بالاحتقار من الجانبين عداء دائما ، وحربا تندلع نارها بين الفينة والفينة ، فلا غرابة أن وجه المسيحيون بعد هذا الاجتراء ، اسلحتهم كلها إلى صدر روما ـ فنددوا بما فيها من فساد وعبادة للاصنام وسخروا من آلهتها وأظهروا الشماتة فيها حين حلت بها الكوارث . . . واعلنوا ، أن كل من أتيحت لهم فرصة لاعتناق المسيحية ثم لم يعتنقوها سيعذبون عذابا ابديا ، وقال الكثير منهم إن هذا سيكون ايضا مصير كل الخلائق الذين وجدوا قبل المسيحية ثم لم يعتنقوها لأى سبب من الأسباب . وإن كان بعضهم قد استثنى سقراط من هذا العذاب ـ ورد الوثنيون على هذا بأن سموا المسيحيين (حثالة الناس) و (البرابرة الوقحين) واتهموهم بانهم (اعداء الجنس البشرى) وقالوا إن الكوارث التى حلت بالإمبراطورية ليست الا نتيجة غضب الآلهه الوثنية والسماح لمن يسبونها من المسيحيين بأن يبقوا احياء . واخذ كل فريق يفترى على الآخر آلاف الافتراءات فاتهم المسيحيون بانهم سحرة متصلون بالشياطين ، وانهم يقترفون الخطايا سرا ، ويشربون دماء الآدميين فى عيد الفصح ويعبدون الحمار .

ورفض المسيحيون الانضمام للخدمة العسكرية ، وتجنبوا غير المسيحيين وابتعدوا عن الألعاب (الهمجية) التى يقيمونها فى اعيادهم ، وامرهم قساوستهم الا يغشوا دور تمثيلهم لأنها مباءة للفجور ، وحرم على المسيحى أن يتزوج غير مسيحية ، وعلى المسيحية أن تتزوج بغير مسيحى ، واتهم الوثنيون العيد المسيحيين بانهم يبذرون بذور الشقاق فى الأسر بتحريضهم ابناء اسيادهم وزوجاتهم على اعتناق الدين المسيحى ، واتهم الدين المسيحى بانه يعمل لتشتيت شمل الأسر وخراب البيوت .

وساء الشعب عزلة المسيحيين وتعاليهم ، وثقتهم بانفسهم واهابوا بحكامهم أن يعاقبوا اولئك الملحدين الذين يهينون الآلهه .

وحدثت المذابح والمجازر والتعذيب لآلاف المسيحيين عسى أن يرجع المسيحيين عن دينهم ولكن العكس حدث وهو تضاعف اعدادهم

وكان أول اضطهاد للمسيحيين من الوثينة فى عهد الإمبراطور الرومانى نيرون حيث حدث الحريق الذى شمل معظم احياء روما وحتى يبعد الإمبراطور (الفاسق) الشبهة عن نفسه ادعى أن المسيحيين هم السبب وبدأ فى القبض عليهم وتعذيبهم حتى الموت

واصبحت المسيحية جريمة التزم الحكام الرومان ، بصفة عامة ، بتوقيع أشد واشنع واقسى العقوبات على مرتكبيها .

وكان بامكان من تثبت ضده المسيحية سواء بشهادة الشهود أو باعترافه إن ينجى نفسه من الموت اذاارتضى فى المحكمة ، وضع بعض حبات البخور على المذبح (أى اذا رجع إلى العقيدة الوثينة) فاذا رفض استعمل القاضى كل وسائل الترغيب ، فان رفض استعمل الترهيب القولى ، فاذا لم يفلح استعمل العنف وأتى بالسوط والمخلقة .

وفى هذه الأجواء التى يغلب على الشعب فيها العقيدة الوثينة ، يتم انتهاك عفة النساء المصرات على المسيحية ، والقتل والسلب والنهب والتحقير والنفى والأعتقال . . . الخ